

مختارات إعلامية

٢٠٢١/٤/١٤

أين الدبلوماسية الذكية في مسار العلاقات الأميركية – العراقية؟

د. أحمد عبد الرزاق شكاره

جريدة المدى

وسط أجواء مرحلة يمتزج فيها القلق والأمل وعدم التيقن من النتائج النهائية تجري جولات الحوار الأميركي – العراقي آخرها النسخة الثالثة في ظل مسار يتميز بالصعوبة والتعقيد إذ يبحر العراق وسط أمواج متلاطمة بين صفتي الدبلوماسية القوة الخشنة Hard Diplomacy والقوة الناعمة Soft Diplomacy .

التي أخذت في مرحلة لاحقة -٢٠١٢- مفهوماً آخر عرفه البروفسور جوزف ناي Joseph Nye بالقوة الذكية. Smart Power مفهوم يجمع ما بين القوتين الخشنة والناعمة متجهماً لإنتاج سياسة خارجية/ دبلوماسية فاعلة ومؤثرة تستهدف تنمية العلاقات الأميركية – الدولية ، تطور ولاشك "مثالي" ولكنه حيوي إن أمكن تطبيقه في الجولة الرابعة القادمة بصورة تلبي المصالح المتبادلة الجيوستراتيجية – الاقتصادية – الاجتماعية – الثقافية- العلمية – التقنية "الشاملة" للطرفين العراقي والأميركي ، ما يرفع من موقع الدولتين نسبياً في مؤشر " القوة الناعمة – الذكية" العالمي بعيداً عن "دبلوماسية القوة الخشنة" ويجعل من إتفاقية الإطار الستراتيجي بين البلدين ذات جدوى.

الإضاءات والمقاربات تشير إلى أن جوزف ناي – مبتكر المفهوم بمضمونه الحديث - عرف القوة الناعمة على أنها قدرة التأثير على الآخرين من خلال اعتماد آليات تشاركية بهدف صياغة أجندة متجددة لـ "لحوار – التفاوض" معززة بألية الإقناع وإستدعاء لخاصية قوة الجذب الإيجابية Positive Attraction Power وصولاً للنتائج الجيوستراتيجية – الاقتصادية المتوخاة من قبل الأطراف المفاوضة.

حتى وقت كتابة المقال يبدو أن طبيعة الحوار الأميركي – العراقي تتمحور أكثر حول أساليب دبلوماسية القوة الخشنة (العسكرية – الاقتصادية) أكثر منها دبلوماسية القوة الناعمة Soft

Power Diplomacy في التأثير على مجريات الأمور، علماً أن استخدام القوة الخشنة وإن حقق بعضاً من النتائج الإيجابية المهمة التي لا يمكن نكرانها في إطار المجابهة الشديدة الحازمة لإرهاب داعش وإنهاء إحتلاله للأرض العراقية إلا أن الاقتصار على استخدام القوة الخشنة تحقيقاً لمتطلبات الأمن مسألة بحاجة إلى معادل موضوعي يغطي جوانب أخرى تختص بالقوة الناعمة المتخصصة Specialized Soft Power دبلوماسياً – قانونياً – تقنياً و ثقافياً ، هذا هو بالضبط الوجه الآخر الذي مازال ينتظره شعبنا العراقي من الوجود الاميركي بصورة تحقق تحولات " جيوسراتيجية – اقتصادية- تنموية " يمكن ترجمتها عمليا في إطار برامج عمل هادفة هذا إن توفرت الإرادة السياسية الحازمة لدى طرفي الحوار أو لدى الأطراف المتعددة التي يعينها نجاح الحوار في الوصول لنتائج تنعكس إيجاباً على استقرار وأمن المنطقة الشرق اوسطية – الخليجية.

إن تمكين العراقيين Empowering Iraqis من إطلاق نمط للتفكير المنفتح على الآخر معززاً بممارسة مهنية – تقنية متخصصة يمكننا من مواجهة تحديات عصر الظواهر الكونية التي تحتاج للتعاون الدولي من نماذجها: التغيير المناخي Climate Change إلى ما نواجهه حالياً من تأثيرات وإنعكاسات وتداعيات عصر ما بعد جائحة كورونا Post Pandemic Corona era ، تغييرات هيكلية واضحة من النظم، الممارسات والوظائف والسياسات المهنية – بعيداً عن الأطر التقليدية في التعاملات الدولية. ما يدعو شركاءنا وأصدقاءنا دولاً، وتنظيمات غير حكومية من تفعيل بناء عراق آمن – مدني مستقل ومزدهر مجتمعياً – اقتصادياً وعلمياً يتمتع بما يستحقه من نوعية عالية في مستوى الحياة، من هنا أهمية تحديد واعتماد عدد من الركائز المهمة حول كيفية تطور مراحل ومضامين الحوار الأميركي – العراقي:

أولاً: الإمكانيات الرقمية Digital Capabilities بكل تفصيلاتها.

ثانياً: الدبلوماسية متعددة الأطراف Stakeholder Multilateral Diplomacy للقاء الدولية الفاعلة.

ثالثاً: التمكين الإنساني Humanistic Empowerment وتكافؤ الفرص دون تمييز أو محاصصة من أي نوع كانت.

أن نتعرف على كيفية الانتقال والإبحار السلس والهادئ نسبياً بين ضفتي دبلوماسية القوة الخشنة والقوة الناعمة مسألة يسهل علينا تبينها نظرياً وإلى حد ما عملياً من خلال دور القوة الأميركية في عمليتي صناعة السلام (Peace Making ومن ثم بنائه) Peace Building إن أمكن). جاك مكنال Jack McConnell وضح مقترباته وتفسيره للموضوع في إطار تميزه بين عمليتي صناعة السلام تليها عملية بنائه مقرأً بأن عملية صناعة السلام تتمحور حول ما يعرف بالستراتيجية الوطنية National Strategy – "التي تتأثر بدور القوى الفاعلة في النظام الدولي أو الإقليمي أي "التدخلات الخارجية"، بينما تأتي أهمية عملية البناء وتنمية العلاقات المتبادلة بين الولايات المتحدة والعراق – في تقديرنا- من ضرورة توضيح الأدوار الحيوية لكل من له حصص مادية أو معنوية Material and Moral Stakes تسهم في تشكل مؤسسات الدولة والمعني به "دور المجتمع المدني" في ما يمكن أن يضيفه لحالة الأمن والاستقرار الداخلي.

يهمني الإشارة لأبناء ترد من واشنطن (إدارة جو بايدن) تؤكد أن الموازنة الأميركية لعام ٢٠٢٢ ستعطي أولوية لما يلي: للصحة، للسياسة الخارجية – الدبلوماسية والتنمية الاقتصادية مع اهتمام خاص بالشرائح الضعيفة التي تتعرض للمخاطر المالية – الاقتصادية على حساب الاهتمام الكبير الذي خصصته سابقاً إدارة ترامب في الانفاق الضخم على التسلح. ترتيباً على ذلك، فإن الدبلوماسية الذكية القائمة على القوة الخشنة والناعمة معاً ستوضح معالمها أكثر من خلال تبني تصورات واضحة لتقييم مدى فاعلية نجاحها الجيوستراتيجي – التنموي في منطقتنا والعراق من ضمنها وفقاً لما يلي من مرتكزات:

أولاً: رسم معادلة دقيقة نسبياً للتكاليف والأرباح لما يتخذ من سياسات، أوامر تنفيذية وتشريعات مهمة في ظل محيط عراقي – شرق أوسطي يتسم بالتوتر والصراع والعنف ونظريات المؤامرة.

ثانياً: التعريف بطبيعة الشراكات Partnerships مع اللاعبين المحليين Local Players – والمواقع التي من خلالها يتم بناء المشاريع التنموية للطرفين الأميركي والعراقي. ولعل كون النظام العراقي يعتمد الفدرالية مضموناً وشكلاً إدارياً – جغرافياً – سياسياً ما يعطي الإقليم الشمالي للکرد أهمية خاصة، مسألة لا بد من أخذها بنظر الاعتبار في أي حوار أو تفاوض معني بالحفاظ على سيادة العراق الوطنية ممتزجة بتلبية مطالب سكان الإقليم التنموية الذين هم جزء لا يتجزأ من سكان العراق.

ثالثاً: الاهتمام المستمر بظاهرة التعامل مع اللاعبيين "المعتدلين - Moderates - بعيداً عن حالات وسلوك التطرّف Radicalisation .

رابعاً: تقديم مقترحات أو افكار تهدف لتحقيق الأبداع الفكري Innovative Thinking بعيداً عن التفكير التقليدي الجامد الذي لا يحسن التكيف مع متغيرات العصر التقني سريع الإيقاع. علماً بأن أي تفكير سليم لمستقبل آمن ومزدهر يجب أن ينطلق بصورة مريحة وهادفة من قاعدة "الاعتراف بالخطأ" كي لا يتم الوقوع به أو تكرار تجارب فاشلة.

خامساً: بناء علاقات متبادلة قائمة على احترام قيم حقوق وكرامة الإنسان والتي تعطي مساحة واسعة كافية للاحترام والتسامح الإنساني في أعماق دلالاته.

التصورات السالفة الذكر تؤكد مدى حيوية وألوية انتماء إقليم دول – الشرق الأوسط وشمالى افريقيا "مينا MENA -" إلى عالم القوتين الناعمة و الذكية خاصة وإن المعلومات الصادرة عن مؤشر المؤتمر العالمي للقوة الناعمة The Global Soft Power Index تبين أن بعض هذه الدول حققت نتائج رفعت قليلاً من مكانتها المتدنية أصلاً ، مقاربات نحتاج للتركيز والبناء عليها كثيراً خاصة ونحن نبحث حاضر ومستقبل العراق والمنطقة ، أكثر دولة نالت رصيماً مناسباً يعد الأعلى في الإقليم في مجال القوة الناعمة هي دولة الإمارات العربية المتحدة التي سجلت في رصيدها ٤٨,٤ نقطة من أصل ١٠٠ ما يقربها من الموقع الـ ١٧ عالمياً حيث تنقسم النتائج إلى ما يلي من مؤشرات فرعية: في الحوكمة نالت المرتبة الـ ١٨ عالمياً وفي التعليم والعلوم حصلت على الموقع الـ ١٩ بينما في حقل الاهتمام بالشعب والقيم التي يحملها وصلت إلى مرتبة الـ ٢٤ ، ما يعني أن دولة الامارات العربية المتحدة نجحت في ميدان الحوكمة Governance حيث انجزت طفرات ايجابية نوعية تحمل تصورات نقلت صورة محيط آمن او مستقر سياسياً – اقتصادياً داخلياً تتمتع به . ذات الشيء يمكن أن يقال عن دول الجوار للإمارات - السعودية وقطر.

هذا وفي ظل متابعة ما تحقق من النتائج الإيجابية يتضح مثلاً مدى استجابة الإمارات السريعة نسبياً لاحتواء جائحة كورونا ما مكنها من الحصول على الموقع الـ ١٥ عالمياً (تجسد في تطوير لقاح وطني فاعل مضاد لكورونا وفي توفير الامارات مساعدات طبية للحلقات الأضعف من الدول في المجتمع الدولي)، ليس هذا فحسب الإمارات وهي تقترب من ميلادها الـ ٥٠ أثبتت رقيماً

في مجال النمو الاقتصادي المستدام Sustainable Development بصورة تلاقى الاعجاب العالمي ما جعلها تحتل المرتبة الـ ١٣ عالمياً للنمو المتوقع مستقبلاً. أما الهدية الثمينة للامارات فقد تمثلت بالنجاح المذهل في وصول رحلتها الفضائية للكوكب الاحمر "المريخ" ما جعلها تدخل مضمار السباق الفضائي إلى جانب الصين والولايات المتحدة. السؤال أين العراق من دبلوماسية القوة الناعمة أو الذكية التي اعتمدها دولة عربية مثل "الامارات" محققة إنجازات مادية ومعنوية حقيقية أو غيرها من دول العالم (اليابان، المانيا، نيوزلندة، فرنسا، الصين، إستراليا، المملكة المتحدة، سنغافورة وايسلندة). من منظور مكمل يمكن ملاحظة الانخفاض الملحوظ في موقع الولايات المتحدة في مؤشر أو مقياس القوة الناعمة العالمي للعام ٢٠٢١ بحدود ٦ مواقع إلى رصيد يقارب ٥٥,٩ من مجمل العدد الكلي الـ ١٠٠. ولعل هناك أسباب مختلفة لهذا التراجع في ظل إدارة ترامب السابقة التي لم تهتم كثيراً بمخاطر جائحة كورونا على الحياة الصحية والاقتصادية – التنموية كما هو حال الإدارة الجديدة لجو بايدن، برغم ذلك تبقى الولايات المتحدة تتمتع بتفوق واضح على الكثير من دول العالم ومنها العراق في ميدان إمتلاك واستخدام القوى الناعمة والذكية إلى جانب الخشنة أيضاً ما يوفر لها نوعاً من الهيمنة الجيوسياسية – الأمنية – العلمية - التقنية - الاقتصادية عالمي